

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَدَاعًا رَمَضَانَ وَأَهْلًا بِالْعِيدِ

الحمدُ للهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِصِيامِ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِ، وَمَتَّعَنَا بِلَيَالِيهِ وَأَيَامِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، سُبْحَانَهُ أَمْرَنَا بِالاستِمرَارِ فِي عِبَادَتِهِ، وَوَعَدَ الطَّائِعِينَ بِعَفْوِهِ وَجَنَّتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْرَفَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ، أَمْرَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: «فَسَيِّخَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، وَأَعْبُدُ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ»^(١)، ﷺ وَعَلَى أَهْلِهِ وَصَاحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى أَتَابِعِهِ وَحَزْبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأُوصِيكُمْ - عِبَادَ اللهِ - وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ؛ فَهِيَ خَيْرُ زَادٍ يُبَلِّغُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَقُوا اللهَ وَلَا تَنْظُرُ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»^(٢)، وَاعْلَمُوا - رَحْمَكُمُ اللهُ - أَنَّ فِي مُرُورِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي عِبْرَةً، فَهِيَ تَمْرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَمَا أَسْرَعَ تَصْرُمَ الْأَيَّامِ، وَمَا أَعْجَلَ مُضِيَ الشَّهُورِ وَالْأَعْوَامِ، وَهَذِهِ سُنَّةُ اللهِ فِي الْحَيَاةِ، «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»^(٣)، كُنَّا بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ نَسْتَقْبِلُ رَمَضَانَ، وَقَرِيبًا نُودُّعُهُ، وَلَيْسَ بَيْنَ اسْتِقْبَالِنَا وَوَدَاعِنَا إِلَّا أَيَّامٌ قَلَائلُ، فَهَنِئُوا لِمَنْ تَرَوَّدَ مِنْهَا الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَلَبِسَ لِبَاسَ التَّقْوَى، فَأَعْدَّ لِلِّيَوْمِ الْآخِرِ عُدُّتَهُ، وَاتَّخَذَ لَهُ أَهْبَتَهُ، فَهَذَا الشَّهْرُ - عِبَادَ اللهِ - يُعَدُّ فُرْصَةً عَظِيمًا لِإِيقَاظِ الْمُؤْمِنِ لِفِعْلِ الْخَيْرِ، وَالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَإِسْدَاعِ الْمَعْرُوفِ، فَهَنِئُوا لَكُمْ بُلُوغُ مِسْكِ خَتَامِهِ، وَوُصُولُ الْمُشْرِقِ مِنْ لَيَالِيهِ وَأَيَامِهِ، وَهَا هُوَ يُؤْذِنُ بِالْاِنْصِرَامِ مُودِّعًا، وَيَجْرِي بِالْطَّائِعِينَ إِلَى الْجَنَّةِ مُسْرِعًا، وَالنَّاسُ فِيهِ فَرِيقٌ نَصَحُّ فِيهِ لِنَفْسِهِ، وَقَامَ بِحَقِّ رَبِّهِ، فَصَامَهُ إِيمَانًا، وَقَامَهُ احْتِسَابًا، وَتَحرَّى فِيهِ مَرْضَاتَ اللهِ، وَفَرِيقٌ آخَرُ تَمَنَّى عَلَى اللهِ الْأَمَانِيَّ، وَأَتَبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، لَمْ يَرْعِ لِلشَّهْرِ حُرْمَتَهُ، وَلَا عَرَفَ

(١) سورة الحجر / ٩٩-٩٨ .

(٢) سورة الحشر / ١٨ .

(٣) سورة القصص / ٨٨ .

لَهُ حَقٌّ، وَمَا أَحْوَجَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى الْوَقْفَةِ الصَّادِقَةِ، فَلَمَّا مُفْرِطُ الْمُقْسِرُ فِينَدُمْ وَيَتُوبُ، وَيَسْتَغْفِرُ وَيَوْبُ، عَسَى أَنْ يَعِيشَ قَابِلَ أَيَامِهِ فِي طَاعَةٍ وَبِرٍّ، وَإِنَابَةٍ وَاسْتِغْفارٍ، مُتَذَكِّرًا قَوْلَ الْعَزِيزِ الْغَفَارِ: «قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا نَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الظُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(١)، وَأَمَّا الْمُطْبِعُ لِرَبِّهِ، فَإِنَّهُ يَهْتَمُ لِقُبُولِ عَمَلِهِ، لِيَكُونَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِي شَأنِهِ: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَلَا يُوْهِمُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ»^(٢)، فَهُوَ مُتَذَكِّرٌ لِإِحْسَانِ خَالِقِهِ، غَيْرُ مُغْتَرٌ بِعَمَلِهِ، مُذْرِكٌ أَنَّ مَا هُوَ فِيهِ إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَلِذَلِكَ يُرَدِّدُ مَا قَالَهُ الْمُتَقْوُنَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَنَا لِهَذَا وَمَا كَانَ لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَنَا اللَّهُ»^(٣).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

مَضَتْ أَيَّامُ رَمَضَانَ بِفَضَائِلِهَا وَنَفَحَاتِ رَبِّهَا، وَأَوْشَكَ أَنْ يَرْحَلَ بِاقيها، لَقَدْ قَطَعَتْ بِنَا مَرْحَلَةً مِنْ حَيَاتِنَا لَنْ تَعُودَ، فِيهَا مِنْ مَنْ أَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بِالْقُدْرَةِ عَلَى الصَّيَامِ، وَوَهْبَكَ قُوَّةً عَلَى التَّهَجُّدِ وَالْقِيَامِ: اغْتَتِمْ مَا بَقِيَ مِنَ الشَّهْرِ بِمُضَاعَفَةِ الطَّاعَاتِ، فَأَيَّامُ رَمَضَانَ تُسَارِعُ مُؤْذِنَةً بِالْاِنْصِرَافِ وَالرَّحِيلِ، وَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا أَنفَاسٌ مَعْدُودَةٌ وَآجَالٌ مَحْدُودَةٌ، وَإِنَّ عُمْرًا يُقَاسُ بِالْأَنفَاسِ لِسَرِيعِ الْاِنْصِرَافِ، وَمَرُورُ الْأَيَّامِ يُذَكِّرُ بِقُرْبِ الرَّحِيلِ، فَالْأَيَّامُ تُطْوَى وَالْأَعْمَارُ تَفْنَى، ثُمَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تَكُونُ الْعَوْدَةُ وَالرُّجْعَى، فَاجْعَلْ - أَخِي الصَّائِمِ - لَكَ فِي بَقِيَّةِ لَيَالِي هَذَا الشَّهْرِ مُدَخِّرًا، وَاغْتَتِمْ آخِرَ سَاعَاتِهِ بِالدُّعَاءِ، فَفِي رَمَضَانَ كُنُوزٌ غَالِيةٌ، وَسَلِ اللَّهِ الْكَرِيمَ فَخَرَائِنُهُ مَلَأَى، وَاسْتَنْزِلْ بَرَكَةَ الْمَالِ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصَّنْ مَالَكَ بِالزَّكَاءِ، وَكُنْ لِلْقُرْآنِ تَالِيَا، وَاغْتَتِمْ بَقِيَّةَ شَهْرِكَ بِكُثْرَةِ الْإِنَابَةِ وَالْاسْتِغْفارِ، وَقِيَامٌ مُخْلِصٌ لِلَّهِ فِي ذُجَى الْأَسْحَارِ، وَإِنِّي أَسْتَطَعْتَ أَلَا يَسْبِقَكَ إِلَى اللَّهِ أَحَدٌ فَافْعُلْ، فَلَحَظَاتُ رَمَضَانَ الْأُخِيرَةُ نَفِيسَةٌ، وَلَعَلَّكَ لَا تُتَرِّكُ غَيْرَهُ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

(١) سورة الزمر / ٥٣ .

(٢) سورة المؤمنون / ٦٠ .

(٣) سورة الأعراف / ٤٣ .

ستستقبلون بعد أيام عيد الفطر، وما أدرككَ ما عيد الفطر؟ إنَّهُ يوم فَرَحٌ وسُرُورٌ، وبهجةٍ وحبورٍ، يوم تَرَاحُمٍ وتَزَاوِرٍ، وتوادٍ وتعاطفٍ، فاجعلوه موسمًا للصلة والبر والإحسان، ولا تجعلوه موسمًا للإسراف والتبذير، ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^(١)، وقد نهَاكم الله عن الإسراف فقال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرِبُوا وَلَا شُرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٢)، وابتعدوا في أعيادكم عن كل ما يُسْخطُ الله، واجعلوها عامرةً بذكر الله والصلاه وصلة الأرحام، فالعيد - عباد الله - فرصة لتقويه الروابط الأسرية، وشدّ الأوامر الاجتماعيه، والتعالي عن النزغات الشيطانية، التي تفرق بين الأحباب، وتحطم علاقات الأصحاب، وهذا ما أمر الله به عباده المؤمنين، بقوله في كتابه المبين: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا أَلَّا تَهِي أَحْسَنُ الشَّيْطَانَ يَنْزَعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلنَّاسِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾^(٣)، واعطُفوا على الفقراء والأيتام والمحتاجين، وادفعوا زكاة الفطر طهراً من الآثام صاعاً من طعام، عنكم وعمن يلزِمُكم عوله من كبير وصغير، وأدُوها في وقتها المشروع قبل صلاة العيد؛ تالوا فضل الله الغني المجيد.

فأنتُقوا الله - عباد الله -، وودعوا شهركم بالتوبة والاستغفار؛ لعل الله يكتبكم من العتقاء من النار، واعزموا مواصلة الصالحات من أعمالكم؛ يغفر لكم ذنبكم. أقول قولٍ هذا وأستغفِرُ الله العظيم لي ولكلِّكم، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم إنه هو البر الكبير.

*** *** ***

الحمد لله رب العالمين، جعل النظافة من صفات أوليائه المؤمنين، وكتب محبته للنوابين والمنتظرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا

(١) سورة الإسراء / ٢٧ .

(٢) سورة الأعراف / ٣١ .

(٣) سورة الإسراء / ٥٣ .

عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَنْظَفَ النَّاسَ فِي جَسَدِهِ وَثِيابِهِ، وَأَطْبَيْتُمْ رِيْحًا بَيْنَ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَكْثُرُهُمْ تَمَسُّكًا بِتَعالِيمِ الدِّينِ وَآدَابِهِ، وَعَلَى اللَّهِ وَصَاحِبِهِ طَاهِرِيَ الْمَظْهَرِ وَالْمَخْبَرِ، وَعَلَى أَتَبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَالْمَحْشَرِ.

أَمَّا بَعْدُ، فِي إِخْوَةِ الإِيمَانِ: اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَاحْرِصُوا عَلَى أَنْ تَعْمَلُوا فِي رَحْمَةِ العِيدِ جَمِيعَكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا يَنْبَغِي التَّنْبِيةُ عَلَيْهِ - وَنَحْنُ مُقْبِلُونَ عَلَى العِيدِ السَّعِيدِ - ضَرُورَةَ التَّقْيِدِ بِالْإِجْرَاءَاتِ الْوِقَائِيَّةِ فِي أَثْنَاءِ الذَّبْحِ وَالْتَّعَامِلِ مَعَ الْحَيَّانَاتِ؛ حِفَاظًا عَلَى النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ، وَإِبعادًا لَهَا عَنْ جَمِيعِ الْأَمْرَاضِ، ذَلِكَ أَنَّ مِنَ الْأَمْرَاضِ مَا يَنْتَقِلُ مِنَ الْحَيَّانِ إِلَى الْإِنْسَانِ عِنْدَ التَّعَرُضِ لِدَمِهِ أَوْ بَعْضِ الْحَسَرَاتِ الْمُتَنَطَّلَةِ عَلَيْهِ، وَعَلَيْنَا أَيْضًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَدَمُ التَّسَاهُلِ فِي التَّخَلُّصِ مِنْ مُخَلَّفَاتِ الذَّبَائِحِ؛ فَلَا نَرْمِيهَا فِي غَيْرِ الْأَمَاكِنِ الْمُخَصَّصةِ لَهَا، كَيْ لَا يَنْجُمُ عَنْهَا أَضْرَارٌ فِي الْفَرْدِ وَالْمُجَتمَعِ وَالْبِئْرَةِ، وَقَدْ جَاءَ النَّهْيُ الشَّدِيدُ عَنْ تَلْوِيثِ الْمَرَاقِقِ الْعَامَّةِ وَالْطَّرُقَاتِ، وَمَوَاقِعِ الظُّلُمِ وَالْإِسْرَاحَاتِ، وَمَجَارِي الْأَفْلَاجِ وَالْأَنْهَارِ، وَمَسَاقِطِ الثَّمَارِ، لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنْ عُمُومِ الضَّرَرِ، وَمَا يَنْتُجُ عَنْهُ مِنْ سَيِّئِ الْأَثْرِ، فَفِي الْخَبَرِ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((اتَّقُوا الْمَلَائِكَةَ الْثَّلَاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةَ الْطَّرِيقِ وَالظُّلُمِ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَانْظُرُوا فِيمَا يُصْلِحُ أَحْوَالَكُمْ، وَيَحْفَظُ صِحَّةَ أَجْسَامِكُمْ، وَلَنَعْلَمُ أَوْلَادَنَا وَشَبَابَنَا أَنَّ الْإِسْلَامَ يَدْعُ إِلَى النَّظَافَةِ، وَأَنَّهَا شُعْبَةٌ مِنْ شُعْبِ الإِيمَانِ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الْعِنَاءِ بِنَظَافَتِهِمُ الْشَّخْصِيَّةِ فَحَسْبُ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَدَّ إِلَى نَظَافَةِ مُجَتَمِعِهِ بِمِرَاقِهِ الْمُخْتَلِفةِ.

هَذَا وَصَلَوُا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرُّ الْمُحَاجِلِينَ، فَقَدْ أَمْرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حِيثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلَيْمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلِّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأْمِيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيْمًا﴾^(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمَيْنِ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَأَرْضُ اللَّهُمَّ عَنْ خُلُفَائِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَا مَعْهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمِيعًا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعْزِّ إِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوقُهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلْمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاَكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالَمِينَ، وَاَكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أُوتَانَا وَأَعْزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيَّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيَّدْهُ بِهِ الْحَقُّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيَّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغْيِثُ أَلَا تَكَلَّنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلُّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَةِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».

